الفصل الأول

مفهوم التربية ودلالاتها

- تمهيد.
- المقصود بالتربية.
- الأهداف التربوية.
- التحدى الذى تواجهه التربية الآن.
- التربية مدى الحياة.

تمهيد:

يعيش الفرد الآن فى عالم التغيير والتجديد، عالم الحركة والتوتر، الذى يتسم بسمات، أهمها:

* التقدم العلمى والتكنولوجى فى مختلف الميادين.
* تشابك العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، وبين المجتمعات والأمم من جهة أخرى.
* تباين النظم السياسية والاقتصادية، التى تسود بلدان العالم، وما يتبع ذلك من تغير فى أساليب العمل فى هذه البلاد.
* العمل على استغلال الموارد الطبيعية بأقصى قدر ممكن، وذلك لمواجهة الانفجار السكانى، الذى يسود مناطق كثيرة من العالم.
* التغير فى العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة.

للأسباب السابقة، وغيرها من الأسباب، أصبح فى حكم المستحيل، وبخاصة بعد تراكم وتعقد وتقدم التراث الثقافى، أن يجد الفرد له مكانًا متميزًا فى عالم اليوم، ليحقق ذاتيته وآدميته دون التسلح بقدر معقول من الزاد الثقافى يتناسب مع مستوى آماله وطموحاته وإمكاناته. وبالطبع، يستطيع أن يحقق الفرد ماتقدم، عن طريق أساليب عديدة، لعل من أهمها التعليم الذى تقدمه المدرسة له، عن طريق المناهج المدرسية المقررة.

ونود أن نلفت النظر هنا، إلى أنه وسط الفوران والغليان اللذين يموج بهما عالم اليوم، ينبغى على الفرد -كى يعيش بأمان وطمأنينة- أن يتسلح بقدرات معينة، يستمد أصولها وتفصيلاتها مما يتزود به من علم وتعلم، وذلك يلقى على التربية عبئًا مضاعفًا ثقيلا.

أولاً: المقصود بالتربية:

قبل تحديد معنى التربية ووظائفها، يجدر التنويه إلى لزومية ووجوبية النظر للتربية، كقوة اجتماعية فاعلة وإيجابية، وذلك للأسباب التالية:

* نظرًا لزيادة تعقد الحياة المعاصرة يوما بعد آخر، فإن ذلك يستوجب معرفة الفرد معلومات دقيقة، تمكنه بالفعل أن يسهم فى تسيير بعض المصالح، وفى حل المشكلات الموجودة فى المجتمع.
* تقارب المسافات بين الدول، نتيجة لتطور وسائل النقل والمواصلات والاتصالات السريعة، أدى إلى قيام إتصالات حضارية جديدة ومعقدة، بحيث أصبح أى حدث يقع على بعد آلاف الأميال فى أى بلد يكون له صداه المباشر فى بقية البلدان، وذلك يستوجب أن يكون الفرد قادرًا على تحليل الأحداث والتمييز بينهما.

* على الرغم من الإنجازات العظيمة التى تمت بفضل العلم، فإنه قد زعزع وضع الفرد وثقته، وذلك نتيجة لتطور وسائل القتل الجماعى، بسبب ظهور أسلحة حديثة فتاكة ومدمرة للغاية. لذا، تقع على التربية مسئولية إبراز أهمية السلام الإنسانى، ونبذ فكرة حل المشكلات والخلافات عن طريق الحروب، التى لن تعود على البشرية بأية فائدة أو خير.

* نتيجة التكالب المستمر على الانتقال من الريف إلى المدن، ظهرت مشكلات اجتماعية جديدة، ولم تكن هذه المشكلات أدعى إلى إتساع مدى المعلومات والمعرفة، وإلى زيادة القدرة على رؤية العلاقات والإختيارات للقيم الإجتماعية والإنسانية، أكثر مما هى عليه في الوقت الحاضر. وبالتالى، أصبحت الحاجة ماسة إلى تربية واقعية لجميع أفراد المجتمع، تساعدهم على مقابلة المشكلات الجديدة، التى بزغت فى الآونة الأخيرة.

تأسيسًا على ما تقدم، بات من الضرورى أن تصبح التربية قوة إجتماعية إيجابية. ويتفق هذا المضمون مع وجهة نظر (**على شلتوت**)، إذ إنه يرى أن "التربية فى أى مجتمع، تحقق وظيفة غاية فى الأهمية، فى حدود الإطارات التالية :

- التربية عملية نقل العناصر الثقافية، مادية ولا مادية إلى المواطنين، ليكونوا صالحين لهذا المجتمع.
- التربية هى عملية النقل فى وسط إجتماعى بشرى، أى فى جماعات بشرية.
- التربية هى عملية تفاعل إجتماعى، ينتج عنه تغير وتكيف فى الفرد والمجتمع [1].

وبعامة، حسب ما تظهره التعريفات التالية، نقول بدرجة كبيرة أن آراء المعلمين والمربين والمفكرين -كما جاءت فى كتابات **إلياس ديب، عبد الحميد فايد**- تختلف وتتباين، بالنسبة لتحديد معنى التربية ووظائفها[2] :

* أنها إيصال مختلف المعلومات والمعارف إلى عقل المتعلم أو تعويده طريقة تحصيل هذه المعلومات.

* أنها عملية تتفتح بها قابليات المتعلم كما تتفتح النباتات والأزهار (فروبل).

* أنها عملية ترويض عقلى فكما أن عضلات الجسم تقوى بالرياضة، كذلك ملكات العقل تتقوى بدراسة مختلف المواد.

* أنها رياضة خلقية.

* أنها اكتساب عادات حسنة.

* أنها مساعدة الفرد على تنمية جسمه وعقله وخلقه تنمية صحيحة تساعده على أن يكون مواطنًا صالحًا، مفيدًا لمجتمعه وقادرًا على أداء الواجب العام والخاص.

* أنها إعداد للحياة الكاملة (هربرت سبنسر)

* أنها إعداد للحياة بواسطة الحياة (دكرولى)

* أنها عملية يكتسب الفرد عن طريقها خبرات تؤثر فى أعماله المستقبلية وتجعلها أكثر إحكامًا وسدادًا (ولىم باجلى)

* هى تنظيم القوى البشرية عند الإنسان تنظيمًا يضمن له حسن التصرف والتكيف فى عالمه الاجتماعى والمادى (وليم جيمس)

* هى إعطاء الجسم والروح كل ما يكمن فى الجمال والكمال (أفلاطون)

* أنها عملية تهدف إعداد العقل لكسب العلم (أرسطو)

* هى الطريقة التى يكون بها العقل، عقلا آخر (جون سيمون)

* هى التى تجعل الإنسان صالحًا لأداء أى عمل، عاما كان أو خاصا بدقة وأمانة ومهارة فى السلم والحرب (جون ملتون)

* هى تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة متلائمة (بستالوزى)

* أنها تصل بالإنسان إلى الكمال الممكن (كنت)

* أنها تعمل على إعداد الفرد ليسعد نفسه أولا وغيره ثانيًا (جيمس ميل)

* أنها تهذيب القوى الطبيعية للطفل كى يكون قادرًا على أن يعيش حياة خلقية صحية سعيدة (جيلى)

ولعل التباين فى تعريفات التربية آنفة الذكر، يعود إلى كونها فى الأصل عملية تنشئة إجتماعية، لذا تختلف وجهات النظر إلى كينونة هذه العملية والجوانب التى توليها جل إهتمامها.

وعلى الرغم من إختلافات الصياغة اللفظية والشكلية للفظة التربية، فإن جميع تعريفاتها السابقة فى مضمونها الحقيقى تتفق، وتجمع تمامًا على أن التربية تساعد الفرد على التكيف والتفاعل مع بيئته، وذلك يتطلب مساعدته على تنمية جسمه وعقله ومواهبه وتربية ميوله وتهذيب خلقه وإكسابه عادات حسنة ومهارات نافعة وإصلاح سيرته وتكييف ذاته مع بيئته. وفي المقابل، فإن التربية تعمل على إصلاح بيئة الفرد الإجتماعية، كما أنها تسعى إلى تحقيق تكييف وإخضاع البيئة الطبيعية لإرادة الفرد، كذا تنمية مواردها حسب حاجاته وأهدافه.

وبإختصار، فإن التربية تهدف أولا وأخيرًا إلى إعداد الفرد للحياة فى بيئة معينة بحيث يتوافق وإياها توافقًا ناجحًا، وبحيث يتفاعل معها تفاعلا إيجابيًا مرنًا، وذلك فى عالم

يتطور بسرعة مذهلة بتأثير تقدم العلوم والاكتشافات والإختراعات، وبذا لا يقتصر دور ذلك التفاعل على تغيير الفرد ليواكب مع ما يحدث فى بيئته من تطورات، إنما يتعدى هذه الحدود بكثير، وذلك عن طريق إعداد الفرد ليسهم بذاته فى تطوير مجتمعه. بمعنى أنه يعمل على تغيير ما فى بيئته بما يتناسب بالطبع وحاجاته وأهدافه.

إذًا « التربية فى أصلها عملية تنشئة إجتماعية تهدف تزويد الطلاب بالخبرات التى تؤهل الناشئ أن يشارك فى مجتمعه مشاركة طيبة، فإذا اتفقت هذه الخبرات مع مطالب النمو تحقق التوفيق بين حاجات الفرد وأهداف المجتمع » (٣).

وتتمثل أهم **الأهداف العامة للتربية** فى الآتى (٤):

* تنمية قدرة الأفراد على التفكير بأسلوب علمى، والعمل بما يتضمنه من دقة الملاحظة، والاستقصاء، وعدم التعصب، والاستناد فى الرأى إلى الدليل المقنع والبرهان.
* تنشئة أجيال قادرة على تحمل المسئولية فى شتى صورها ونواحيها، وتشجيع الأفراد على المبادرة واتخاذ القرارات بأنفسهم، والتخطيط لمستقبلهم، والاعتماد على جهودهم ونتائج أعمالهم.
* تنشئة جيل قوى يتميز بالجدية والصلابة والتضحية، لديه من القدرات والمهارات والاتجاهات ما يجعله قادرًا على مواجهة التحديات والمخاطر التى تتعرض لها الأمة.
* تأكيد الرابطة بين النظريةوالتطبيق، وبين العلم والعمل.

وحيث أن أهداف التربية تمثل منطلقاتها الرئيسية، والتى على أساسها يتم تحديد مقاصدها ونظمها وتعاملاتها ونظرتها للأحداث الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... إلخ، لذلك يتمحور الحديث التالى حول الأهداف التربوية بشىء من التوضيح والتفصيل.

ثانياً: الأهداف التربوية (٥):

تتأثر الأنظمة التربوية القائمة فى أى بلد بالعوامل السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى تسود ذلك البلد، وعليه فإن أى تطور فى هذه الأنظمة يكون نتيجة لتلك العوامل. والتطورات فى الأنظمة التربوية لها صور مختلفة وتتم بسرعات متباينة. ففى بعض الأنظمة كانت التطورات حثيثة وسارت ببطء وامتدت لفترة طويلة من الزمن لدرجة أنه لا يمكن فهم نظامها إلا عن طريق دراسة تاريخ وتراث الأمة التى تبنت هذا النظام. وفى أنظمة أخرى، كانت التطورات سريعة للغاية، وذلك بسبب قيام ثورة سريعة مفاجئة، إذ أن أى ثورة جديدة تقوم، تستخدم -غالبًا- الأنظمة التربوية لدعم وتدعيم وتعميق المفاهيم التى تنادى بها. أيضًا قد تُفرض أو تقترح بعض الأنظمة التربوية على بعض البلدان، وبخاصة المغلوبة على أمرها، وذلك بهدف إعادة بناء هذه الأمم وفق الخطوط

التى تقبلها وتراها الدول المهيمنة عليها اقتصاديا أو عسكريًا، وقد يترتب على ذلك توجيه الأفراد فى البلدان المقهورة وفق مصالح الدول المسيطرة. كذلك قد تحدث نكبة داخل أمة من الأمم نتيجة اهتزاز بعض القيم أو نتيجة لانتشار أساليب العنف والإرهاب فيها، أو تصاب بنكسة نتيجة لهزة اقتصادية عنيفة أو نتيجة لخسارة حرب فيدفعها ذلك أن تحاول النهوض والبعث من جديد متخذة التربية سبيلها لتحقيق ذلك. وهذا ما حدث بالفعل لألمانيا أثر هزيمتها المنكرة فى الحرب العالمية الثانية، إذ ما لبثت أن استعادت قوتها بعد تلك الخسارة بفترة قصيرة وذلك بعد أن غيرت أنظمتها التربوية، أيضًا كما حدث فى الدنمارك بعد أن فقدت أهم جزء من أراضيها وهى الشانوريك والهولسناين، إذ أنها استيقظت واستعادت ما فقدته بسرعة مستخدمة فى ذلك التربية كوسيلة لإيقاظ الشعور الوطنى. وقد نجد أحيانًا أن ما يحدث من تعجيل سريع فى التغير الاجتماعى داخل الأمة الواحدة تنعكس آثاره على التغيرات التى تحدث فى نظامها التربوى، وذلك ما حدث فى بريطانيا بعد الحرب العظمى الثانية، إذ أن القانون التربوى الجديد الذى سن سنة ١٩٤٤، والذى عرف بقانون (بتلر) كان واحداً من سلسلة من التغيرات الأساسية فى الإصلاح الاجتماعى، التى أجريت بعد الحرب العظمى الثانية.

وفى السنوات الأخيرة، نجد أن الدول النامية التى تسعى إلى تحقيق المزيد من التطلعات الوطنية مثل: زيادة الإنتاج والحد من الاستهلاك والتصنيع والتكنولوجيا المتطورة، بدأت تسعى لتطوير أنظمتها التربوية على أسس حديثة، وبدأت تعمل على محو الأمية وتعليم الكبار وفق أساليب أكثر فاعلية لتحقيق طموحاتها الوطنية.

مما سبق يتبين لنا كيف تتأثر الأنظمة التربوية بالعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، علماً بان هذه العوامل لها جذورها الفلسفية.

بمعنى: إن العوامل الفلسفية هى الدعامة الأولى فى توجيه الأنظمة التربوية ووضع السياسة التربوية. وبعامة تستند السياسة التربوية على الفلسفة الاجتماعية والسياسية للبلد الذى توضع له النظم التربوية وتخطط المناهج على أساسها. لذا عند التخطيط للسياسة التربوية، ينبغى أن تلبى حاجات المجتمع الحقيقية وتحقق الفلسفة الاجتماعية. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالرجوع إلي الخطوط الرئيسة التى تستمد من الفلسفة الاجتماعية والسياسية التى تأخذ بها الدولة.

إذًا، فالعوامل الفلسفية هى الموجه الرئيس لكل من يعمل فى ميدان وحقل التربية. والحقيقة أن الفلسفة تتناول جميع عناصر الثقافة بالدراسة والتحليل والنقد، فتلقى بذلك الضوء على نواحى الوهن والضعف فى الثقافة وبالتالى فهى توجه وترشد إلى ما يجب عمله للتغلب على ما قد يظهر من قصور فى بعض جوانب الثقافة، وبذا يمكن التخلص من ألوان الصراع والتناقض التى قد توجد فى الثقافة ذاتها. ومن ناحية أخرى تعمل الفلسفة

على التنسيق بين عناصر الثقافة مما يحقق الوحدة والانسجام بينها. ومن هنا أتت أهمية وضع أهداف تربوية واضحة ترمى إلى تحقيق الفلسفة الاجتماعية قبل إمكان وضع الكتب المناسبة، أو تحديد طرق التدريس، أو إعداد المعلم الكفء الذى ينفذ الخطط الدراسية ويوجه المتعلمين توجيها سليمًا يتلائم وحاجاتهم وطبيعتهم الإنسانية، ويراعى فى الوقت ذاته فلسفة المجتمع ومتطلباته.

ما سبق لا يعنى بأى حال من الأحوال أن يضع المعلم نفسه داخل قوالب جامدة أو يحبس نفسه بين أربع حواجز من المعلومات وطرق التدريس المفروضة عليه، ولا يعنى الحد من حريته عند عرض أى موضوع يقوم بتدريسه بالطرق التى يراها أكثر ملاءمة وانسجاما مع المواقف المتباينة التى يواجهها، بل الصحيح هو عكس ذلك تماما، إذ أن التربية الحديثة تعتبر المعلم الكفء عاملا فعالا فى بعث الحياة فى كثير من المواد والمقررات الدراسية وجعلها مقبولة ومستساغة للمتعلمين، ولكنه مع ذلك يحتاج إلى معرفة الأهداف النابعة من الفلسفة الاجتماعية، التى يسعى لبلوغها عن طريق عملية التدريس.

وتتمثل أهمية الأهداف التربوية التى يتم إعدادها من قبل الهيئات واللجان والمجالس والأفراد، فى أنها تهيئ لكل من تهمه العملية التربوية دليلا يسترشد به وإطاراً عامًا يسير على هداه منعًا للالتباس والازدواج، وتجنبًا للتخبط فى متاهات لايعلم مداها، وسعيًا لتوفير الجهود التى قد تتبعثر وتتبدد دون هذا الدليل. وأيضًا منعًا لتعدد التفسيرات وغير ذلك من العوامل التى قد تكون سببًا فى إعاقة سير النمو السليم والمتكامل للمتعلمين، والتى قد تقف حجر عثرة أمام تنفيذ كثيراً من الأهداف التربوية المرجوة. ومع الإهتمام بالأهداف التربوية - من حيث ضرورة معرفة مصادرها ووجوب صياغتها صياغة دقيقة محددة، ومن حيث ترجمة هذه الأهداف إلى أفعال سلوكية ومعرفية وقيمية تتمثل فى المناهج والمقررات الدراسية والفعاليات التى تنظم للمتعلمين داخل وخارج المدرسة - يجب أن يكون المتعلم هو الغاية النهائية لكل الجهود التى يبذلها واضعو الفلسفة الاجتماعية، وذلك تحقيقا لرؤية أو خطة الدولة بالنسبة لإعداد المتعلمين.

*** صياغة الأهداف التربوية بين الأساليب التقليدية والتقدمية:**

من المعلوم، أن الأهداف التربوية أو الناتج المرغوب فيها من الخبرات التربوية تشتق من مصادر ثلاث رئيسة، هى: المتعلمين، والمجتمع، والتفاعل بين الاثنين كأساس لصياغة المفاهيم المهمة للحياة الصالحة للأفراد الذين يعيشون فى ذلك المجتمع. وعلى هذا الأساس يجب أخذ العوامل الثلاث السابقة عند صياغة أهداف الخبرات التربوية، فالنتائج المطلوب تحقيقها قد تكون موجهة بصورة أساسية نحو الفرد، وذلك لتحقيق حاجاته النفسية والبيولوجية، ولتحقيق أهدافه المتطورة وحاجات نموه وأولاعه وأنماط خبرته وغير ذلك مما يهم المتعلم. ومن ناحية أخرى قد تكون الأهداف المطلوب تحقيقها موجهة بصورة أساسية

نحو المجتمع، وذلك مثل: التراث الحضارى الذى يجب نقله من جيل إلى جيل آخر يليه، والقيم التى تتمسك بها جماعة المجتمع وأعراف وتقاليد تلك الجماعة، والمتطلبات التى يضعها الكبار من أجل تحقيق النجاح فى ضوء وعلى أساس تقاليد وعادات جماعة المجتمع وما شابهها من جوانب المجتمع. وواضح أن الأسلوبين السابقين له نواحى قصوره، لذا يجب أن توجه الأهداف لتحقق أقصى حد لنمو الفرد ضمن أنماط وتقاليد وحضارة ذلك المجتمع. ومن الواضح أن النتائج التربوية، التى يسعى إلي بلوغها أولئك الذين يسهمون فى تخطيط البرامج الدراسية، ستعبر عن مفهومهم للحياة السعيدة لجماعة المجتمع التى تحافظ على المدرسة وتريد بقاءها.

*** صياغة الأهداف من قبل الفلاسفة:**

يقتصر حديثنا هنا على الاهتمام بصياغة الأهداف من قبل الفلاسفة الكبار أمثال: **سقراط وأفلاطون وأرسطو وابن خلدون والغزالى وروسو، ولوك وهربارت وسبنسر وبستالوزى وديوى**. وهؤلاء كان ولايزال تأثيرهم على الفكر التربوى وعلى التخطيط التربوى تأثيراً بالغ الأهمية.

وبعامة استخدم الفلاسفة قاعدتين لتحديد الأهداف التربوية:

١ - الطريقة الإستنتاجية أو الاستدلالية وتعرف أحيانًا بالطريقة الأرسطورية نسبة إلى (**أرسطو**)، وخير من يمثلها: **سقراط وأفلاطون ولوك وأرسطو**. والأساس فى هذه الطريقة لتحديد الأهداف التربوية أنها تستخدم أسلوب الاستدلال، لذا يجب أن يوجه الاهتمام إلى تحديد الحقائق والمثل التى ينبغى أن تمثل فى حياة الناس. أن تحديد طبيعة الأشياء وطبيعة الإنسان على أساس فلسفى، يساعد على استنتاج الأهداف التربوية وكيفية الوصول إليها عن طريق برنامج المدرسة. وعليه، يصبح واجب المدرسة واجبًا غايته مساعدة الفرد لتقبل المسلمات ولتنظيم حياته، بحيث يتسنى له أن يعيش طبقًا لهذه الحقائق.

٢ - الطريقة الطبيعية وتعرف بالطريقة التجريبية وخير من يمثلها: **روسو وهربارت وسبنسر وبستالوزى وديوى**. وتهتم هذه الطريقة بالطبيعة البشرية والسعى وراء العدالة والإصلاح. وهى بذلك تجعل الطفل محور إهتمام العملية التربوية، لذا توجه اهتمامها لحالة الإنسان الطبيعية وحقوقه، وبذا يكون هدف التربية هو إنماء الفرد من ناحية قدراته الذاتية، ويتحقق ذلك عن طريق السير وفق إهتمامات الطفل وميوله الطبيعية.

*** صياغة الأهداف التربوية من قبل اللجان والجماعات المهنية :**

وجه الاهتمام فيما مضى إلى صياغة الأهداف التربوية الشاملة بصورة عامة دون

تخصيص، لذا لم يبذل غير جهد قليل من العاملين فى المدرسة لوضع أهداف أكثر تفصيلا وتحديدا للمدرسة. فمثلا، اقتصر هدف المدرسة الابتدائية فيما سبق على تعليم القراءة والكتابة والحساب بينما اقتصر هدف المدرسة الثانوية على إعداد المتعلمين للالتحاق بالدراسة العالية فى المعاهد والكليات الجامعية.

وحتى بداية القرن العشرين، لم تبذل جهوداً تذكر لكى تبين بشىء من التفصيل تلك الأهداف، التى يجب أن تعمل المدرسة على تحقيقها، ولكن بعد ذلك ازداد اهتمام التربويين بصورة مكثفة بمشكلات التربية، ونتيجة لذلك تكونت العديد من اللجان الوطنية لدراسة تلك المشكلات. وقد أثرت هذه اللجان تأثيراً كبيراً على تنظيم المدرسة وعلى برامجها. وبدأت هذه اللجان تدرس ما ينبغى أن تكون عليه المناهج التربوية الصالحة بجانب دراستها للمشكلات التربوية بالطبع. كما حاولت هذه اللجان الإجابة عن السؤال: ما الوضع الذى يجب أن تكون عليه الأهداف التربوية؟

وللتوصل إلى وضع صيغ متكاملة للأهداف التربوية، بدأت اللجان أول ما بدأت تناقش بشدة أفكار الفلاسفة والمربين الذين وضعوا صيغًا للأهداف التربوية، بغية التوصل إلي أهداف واقعية أقرب ما تكون لواقع المدرسة، وإمكانية وضعها موضع التطبيق.

وقد بدأت أخيرا حركة واسعة لصياغة الأهداف على أثر إثارة بعض الأسئلة، التى تتعلق بإصلاح المناهج وسبل تطويرها وإعادة النظر فى تنظيم التعليم فى مراحله المختلفة والأوقات المخصصة للموضوعات الدراسية المختلفة في مختلف مراحل التعليم وأهداف تدريس كل مادة من هذه المواد. فعلى سبيل المثال: تضمن تقريرا لدراسة اللغة أن الأهداف المباشرة الرئيسة من تدريس اللغة فى المدارس تنحصر فى أمرين أساسيين، هما:

مساعدة المتعلم على فهم الآراء التى يعبر عنها الآخرون فى كتاباتهم.

- تنمية وتهذيب الذوق فى القراءة وإعطاء المتعلم بعض ألوان المعرفة وتعويده قراءة الأدب الجيد الرفيع، وكذلك تزويده بالوسائل التى تعينه على توسيع أفق إطلاعه.

أيضًا، تمخض أحد المؤتمرات الذى عقد حول تدريس التاريخ والحكومة المدنية والاقتصاد السياسى، عن أهداف خاصة بهذه الموضوعات. فمثلا: رأى أعضاء ذلك المؤتمر أنه إذا كان الهدف الرئيس من التربية كلها هو التدريب والإعداد فإن لدراسة التاريخ أيضاً قيماً بعينها لاتقل أهمية بأية حال من الأحوال عن دراسة اللغة أو الرياضيات.

وبعامة، وضعت أهدافًا متعددة للتربية بصورة عامة وللمراحل التعليمية والمواد الدراسية بصورة أكثر تحديداً مما كانت عليه فيما سبق، وقد أكدت بعض هذه الأهداف على الجانب الفردى من تربية الإنسان، بينما أكدت بعضها الآخر على الجانب الاجتماعى. وتهدف هذه الأهداف إلى التوفيق بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع. وعلى

أساسها بنيت المناهج الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة. وقد تميزت الطريقة التى صيغت بها الأهداف فى السنوات الأخيرة بأنها بنيت على أساس آراء المتعلم عن طريق توجيه مجموعات من الأسئلة إليه لمعرفة ما يريد أو يرغب فى تعلمه، ومنها ما بنيت على أساس محاولة تحليل المهنة ومعرفة متطلباتها لكى تعد أشخاصاً يعنون بتلك المتطلبات بصورة فعالة.

ثالثاً: التحدى الذى تواجهه التربية الآن :

تعتمد الحضارة المعاصرة بدرجة كبيرة على التربية، من أجل توسيع قدرات الأفراد المطلوبة منهم، كى يعيشوا بسلام فى عالم اليوم: عالم التغيير والتجديد، عالم الحركة والتوتر، عالم الأمل والرجاء، عالم الهيجانات والاسترخاء النسبى. وعلى الرغم من التناقضات السابقة التى هى من سمات الخمسين سنة الأخيرة (ما بعد الحرب العالمية الثانية)، فإن المدرسة يمكن أن تكون قوة رئيسة، وأن تلعب دوراً فعالاً ومصيرياً، لو أنها سارت فى الاتجاه الصحيح.

ومن ناحية أخرى، لم يكن التحدى للتربية فى أى وقت من الأوقات، أكثر حدة مما هو عليه الآن. ويظهر هذا التحدى للتربية بصورة سافرة على ضوء الاعتبارين التاليين:

١ - أن المدارس جزء لا يتجزأ من حياة الأمم وطريقة معيشتها :

إن النظام التعليمى القائم فى أى مجتمع من المجتمعات، لهو محصلة الخبرات المتجمعة لذلك المجتمع، وانعكاساً للقيم التى يؤمن بها أفراده، وتعبيرا عن الفلسفة السائدة فيه. فمثلا، إذا كان التعليم بالمجان فى أى بلد من البلدان، وإذا كان مجال القبول بالمدارس مفتوحاً أمام جميع التلاميذ بغض النظر عن ألوانهم، ومعتقداتهم، ومستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وانتماءاتهم الحضارية، فإن ذلك ينبع أساساً من نظرة ذلك البلد إلى التعليم، من حيث: أهميته، وجدواه، ولمن يقدم.

وبعامة، أدى الهدف المثالى، المتمثل فى التعليم المجانى وإتاحة الفرص التربوية المتساوية أمام الجميع، إلى التوسع المستمر فى المدارس، وبخاصة مدارس التعليم الابتدائى، لتضم جميع الأطفال فى العمر المدرسى، ولتهيئ لهم فرصاً تربوية متكافئة. إن المفهوم الذى تتضمنه هذه الفلسفة لتوفير تعلم مجانى، وإتاحة فرص تربوية متساوية لكل فرد كى ينمى طاقاته إلى أقصى حد ممكن، هى من جملة الأسباب التى تؤثر فى تكوين النظام التربوى وتصميمه بما يتفق وتلك المثل. وتتأثر المناهج التى تقدمها المدرسة بصورة مباشرة بالمثل والمواقف والضغوط التى يمارسها الأفراد والجماعات فى المجتمع. فمثلا، أدى التوسع الرأسى لمدارس التعليم العام بسبب مد فترة التعليم الإلزامى من جهة، وإطالة العام الدراسى من جهة ثانية، وتشريع القوانين الخاصة بمنع تشغيل الأحداث (فى كثير من الدول)

لإبعادهم عن سوق العمل التنافسى من جهة ثالثة، إلى ضرورة إعادة النظر فى نوع الخبرات التى تتيحها المدارس للأطفال والشباب على حد سواء. أيضا، من الأسباب التى تدعو إلى مراجعة الخبرات التى تقدمها المدرسة بصفة دورية، إن الميادين والمجالات التى تستخدم خريجى المدارس للعمل فيها، أو التى تقبلهم لمواصلة دراستهم فى مراحل دراسية أعلى، قد بدأت تضغط على واضعى المناهج كى يعدلوا فى المناهج المقررة للمراحل التعليمية المختلفة بما يتلاءم ومتطلبات الدراسة فى المستويات الأعلى.

فى ضوء ما تقدم، فإن تهيئة خبرات تربوية ذات نوعية جيدة، تجعل من التربية قوة اجتماعية إيجابية، هى من تحديات العصر فى الوقت الحالى، سواء أكان ذلك للمتخصصين أم لغير المتخصصين فى مجال التربية.

ب – ينبغى أن تكون التربية قوة اجتماعية إيجابية :

تزداد الحياة المعاصرة تعقيدا يوما بعد يوم، لذا يحتاج المواطن الذكى الفعال إلى معلومات مضبوطة تساعده على الوقوف على ما يدور حوله من أحداث، سواء على المستوى المحلى أم على المستوى العالمى. كما أنها تجعله قادرا على التصدى بالحلول العلمية لمشكلات التى تواجهه فى حياته الخاصة، والتى يعانى منها المجتمع الذى يعيش فيه. ومن ناحية أخرى، فإن تقليص المسافات بين الدول بسبب وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة الجبارة، يعنى حدوث اتصالات حضارية جديدة ومعقدة. ومن ناحية ثالثة، تحتاج شعوب دول العالم للتواصل من أجل بناء سياسات متقاربة، أو بناء سياسات متوازنة على أقل تقدير، لذلك أصبحت الشئون الدولية بالغة الأهمية لكل فرد، لأن الأحداث التى تقع على بعد آلاف الأميال فى أى بلد من البلاد لها تأثير مباشر على حياته، سواء أكان هذا التأثير إيجابا أو سلبيا

أيضا، لقد زعزع العلم وضع وسلام الفرد والمجتمع، وذلك بسبب تطور وسائل القتل الجماعى التى تهدد الحياة على وجه الأرض فى أى لحظة تتهور فيها أية قوة عسكرية غاشمة.

كذلك، لا تبدو مشكلات الحياة اليومية أكثر شدة، وأعظم قسوة مثلما هى عليه الآن، وذلك بسبب هجرة الأفراد من الريف والنزوح الجماعى إلى المدن داخل البلاد أو خارجها، وبسبب زيادة أوقات الفراغ الذى وفرته الآلة للإنسان.

فى ضوء ما تقدم، لم تكن الحاجة إلى تربية واقعية لجميع الأفراد –أطفالا وشبابا وكهولا– أشد مما هى عليه الآن، وذلك بسبب التغير المستمر الذى يتطلب الأشخاص القادرون على معالجة تعقيدات الحياة اليومية، القادرون على رؤية العلاقات والاختيارات بالنسبة للقيم الاجتماعية والإنسانية رؤية صحيحة موضوعية.

وتنعكس من جميع أنحاء العالم الدلائل التى تشير إلى الثقة المتزايدة فى قوة التربية كمصدر لتنمية البيئة وتفعيل إمكاناتها، وكدليل يسترشده الأطفال للاسهام فى عالم: اليوم و الغد، على حد سواء. وتقع مسئولية الرد على هذا التحدى على عاتق المدرسة حتى تصبح التربية بالفعل قوة إيجابية اجتماعية. وبالطبع، لن يتحقق ما مر ذكره، ما لم يعمد المدرسون، والمسئولون عن قيادة العملية التربوية إلى فحص وتقييم الآراء والمقترحات التى تؤدى إلى معالجة مشكلات المنهج الأساسية من ناحية، وإلى التفكير فى بناء منهج جديد يواكب روح العصر من ناحية أخرى.

رابعاً: التربية مدى الحياة :

إن التربية يجب أن تكفل للإنسان إشباع حاجاته وتحقيق طموحه وأهدافه، لذا فإن عبارة «التربية مدى الحياة»، تعنى ببساطة أن التربية لا تنتهى بانتهاء تعليم الفرد الرسمى فى المدرسة أو الجامعة»، بل تدوم دوام حياته وتستمر مع استمرارها، وعليه تتضمن التربية مدى الحياة عنصرين:

أولهما : يتمثل فى استمرارية العملية التربوية بلا معوقات بهدف تحقيق ما يأمل إليه الفرد وتنمية ما لديه من إمكانات واستعدادات.

أما ثانيهما . فهو الإعداد لمواجهة المتطلبات العاجلة للعالم فى وقت يتسم بالتحول الصارخ والتغير الدائم السريع، بحيث أصبح من المستحيل أن يحكم حياة الفرد أو الجماعة معايير تربوية ثابتة.

لذا تهدف «التربية مدى الحياة» من وجهة النظر التعليمية إلى إشباع حاجات الفرد الحياتية الضرورية لتساير لحظات عمره فى عصر دائم التغير سريع الحركة، وذلك يقتضى من المسئولين عن التربية تعديل المناهج بصفة دورية، بما يتناسب ودورها كما يجب أن تؤديه. وبذلك يستطيع المتعلم أن يتابع تعليمه وأن يستكمل تربية نفسه طالما هو موجود على قيد الحياة، وذلك بغض النظر عن انتظامه أو غير انتظامه فى الدراسة المنظمة، لذا يجب أن تركز المناهج الدراسية فى ظل هذا النظام جُل اهتمامها على تعليم الفرد كيف يفكر تفكيرا سليما، وكيف يواجه وجه الحياة المتغير دوما، وكيف يتصرف بعقلانية إزاء المواقف الجديدة التى لم يسبق له الالتقاء بها. بمعنى؛ يجب توجيه كل ما يحصل عليه الفرد من مفاهيم ومعارف ومدركات لتأكيد المعنى السابق بغض النظر عن الكم الذي يحصل عليه منها، على الرغم من أنه قد يخرج إلي الحياة فلا يجد شيئًا مما سبق له تعلمه، وإنما يجد غيره قد احتل مكانه، بفعل التطور السريع فى شتى الميادين، وبفعل التقدم العلمى الهائل الذى هو سمة العصر الآن.

وحتى تحقق التربية هذا المطمح فلابد أن تقوم مناهجها على الأسس التالية:

- تزويد المتعلم بالدوافع اللازمة حتى يتابع دراسته وتدريبه ويرتفع بمستوى كفاءته حتى بعد ترك المدرسة أو الجامعة، وبذلك يتحمل مسئولية تربية نفسه فى وقت قد لا يجد فيه من يعلمه.
- إكساب المتعلم الوسائل التى من خلالها يستطيع أن يحسن التعبير عن النفس والاتصال بالآخرين.
- إنماء قدرة المتعلم على التركيز والملاحظة.
- وقوف المتعلم على مصادر المعلومات، وكذلك طرق الحصول على منابع المعرفة.
- إتاحة الفرص أمام المتعلم للتدريب على العمل التعاونى مع الآخرين.
- تحقيق المداخل التاريخية والعلمية والنسبية فى دراسة المناهج التربوية لأهميتها التى لا يستهان بها فى عصر العلم المتقدم.

*** دواعى ومميزات (التربية مدى الحياة) :**

يعيش الأفراد الآن فى حركة سريعة ودائمة من التغير والتطور، لذا أصبح من غير المرغوب فيه توقف المتعلم عند حد معين من المعرفة التى يتلقاها فى المدرسة أو الجامعة ليعيش به بقية أيام حياته، إذ أن المعرفة تتجدد دوما. بمعنى؛ أن جوانب المعرفة سيل لا يقف عند حدود، وبخاصة فى عالمنا الحاضر، مما يفقد ذلك القدر المحدود من المعرفة الذى يتلقاه الفرد فى المدرسة أو الجامعة استمراره وأهميته ويقضى عليه بالتخلف والموت. ويكون ذلك من أسباب عجز الفرد وعدم قدرته على ملاحظة كل جديد، إن أصر على عدم تجديد نفسه بما يتناسب مع التطورات السريعة فى جوانب المعرفة المختلفة، مكتفيا بزاده القليل الذى اكتسبه خلال دراسته.

أيضا مما يظهر أهمية الاتجاه الجديد فى تحقيق الهدف السابق، أنه بمقارنة الكيان التربوى المعمول به فى مدارسنا الآن وبين الكيان التربوى الجديد، الذي تتبناه وتدعو إليه فكرة «التربية مدى الحياة» نجد ما يلى :

* يتم التعليم المعمول به حاليًا فى المدارس فى إطار زمن محدد، وينتهى بعمر معين، أما «التربية مدى الحياة» فلا تضع قيودًا أو حدودًا للتزود بالمعارف والمعلومات، إذ يستطيع المتعلم اغتنام فرصته دون التقيد بعمر معين، لأنها تبصره بالعالم المحيط به فيستطيع السير فى تيار الحياة.

* تحكم التربية فى جميع مراحلها، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، نظرة تقليدية تقوم على تقسيم حياة الفرد إلى فترتين: الأولى: هى فترة الإعداد والاستعداد بالمدرسة والتدريب والممارسة الموجهة لألوان السلوك المختلفة التى تكون شخصية الفرد وتعده

لتحمل المسئولية مستقبلا. والثانية: هى الفترة التى يتحمل فيها المتعلم مسئولية العمل المستقل كله، وكذلك مسئولية التنفيذ على ضوء ما سبق له اكتسابه من الفترة الأولى.

لذا عملت التربية قديمًا على دس الحقائق فى أذهان المتعلمين دسًا لتكون معتمدهم الأول والأخير فى المستقبل، فكانت تزود المتعلمين وهم صغار، ما ترى أنهم يحتاجون إليه فى تأدية أدوارهم وهم كبار. وبالطبع ذلك يجانبه الصواب تمامًا فى عصر يخرج فيه الطالب من الجامعة، ليجد أن الزمن قد سبقه إلى تبديل وتعديل ما عرف من حقائق.

أيضًا يهمل الأسلوب التقليدى قوانين نمو الفرد، وهذه ترى أهمية وجدوى استمرار الفرد مدى حياته فى التعلم ليلاحق كل جديد، لذا يجب النظر إلى الحياة كلها على أنها فترة واحدة يمتزج فيها الإعداد بالمباشرة الفعلية. والواقع أن حياة الفرد بفتراتها المتعاقبة تحمل دائمًا كل جديد مما تحتاج إليه عمليتى الإعداد والمباشرة معًا.

* فى ظل التربية مدى الحياة لا يوجد معنى للنجاح المطلق أو الفشل المطلق، لأن الفرد أثناء انغماسه فى أى عملية تربوية مستمرة يتعلم الجديد دومًا، وذلك يزيد من دائرة معارفه بدرجة ما، وبذا يكون النجاح أو الفشل بالنسبة له نسبيًا.

* تتيح التربية الحالية للفرد فرصًا سهلة لاختيار الوظائف والخدمات حيث يقوم الاختيار على أساس حصوله على الشهادة المناسبة، وليس على أساس قدرته على تأدية رسالة الوظيفة أو مسئوليات الخدمة بأمانة وفاعلية. أما فى ظل (التربية مدى الحياة) فيمكن استحداث نظم تربوية تسمح للفرد الذى يزاول بكفاءة مهنة من المهن أن يتابع وهو فى مهنته دراسة المقررات وممارسة التدريبات التى تعده لمهنة أخرى. وبذا يستطيع أن يفاضل بين المهن المختلفة، وذلك يساعد على وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب. وهذا الأسلوب فى اختيار العاملين يفضل عن أسلوب الاعتماد على الشهادات والدبلومات؛ لأنه يتميز بميزتين ينبغى لعصر العلم والتكنولوجيا أن يحرص عليهما، وهما:

- تنقيح دائم للاختيار بهدف ضمان أداء الخدمات الاجتماعية على أكمل وجه.
- إتاحة الفرصة لكل من الموظف وصاحب العمل، ليظهر الأول كفايات متباينة الدرجة والمستوى، وليتعرف الثانى على تلك الكفايات فيقدرها ويسند إلى صاحبها العمل المناسب لهذه الكفايات. وذلك يكون من عوامل إظهار الابتكارية لدى الأفراد طبقًا لما يملكه كل منهم من إمكانات واستعدادات وقدرات.

*** نظرة إلى التربية مدى الحياة :**

أولا :

يمكن أن يكون لعبارة «التربية مدى الحياة» وقع رنان في الآذان، ومفهوم واسع في الأذهان، وذلك لأنها من الناحية الفلسفية تعد عبارة جامعة شاملة تصلح للدلالة على عدد كبير من الوسائل التعليمية التي تتراوح بين التعليم غير المدرسي، والتعليم المدرسي الدائم، كما أنها تصلح أن تكون من المفاهيم العالمية بحكم شمولها. ولكن إذا نظرنا إليها من وجهة التنفيذ العملي، وجدنا لها معاني ثلاثة، هي[٦]:

المعنى الأول : ويكتنفه الغموض باعتباره مثلا أعلى يسمو إلى مناط الثريا، ولا ينزل إلى مستوى الثرى، منذ عهد الأغارقة القدامى الذين كان مفهوم التعليم عندهم يتمثل في تعليم الإنسان دوما حتى يصبح مواطنًا صالحًا.

المعنى الثاني : وهو معنى حديث الظهور، ويتمثل في استخدام وسائل الاتصال الحديثة في التعليم، كالجامعة المفتوحة (جامعة الهواء) المعروفة في المملكة المتحدة، وهي التي تجمع بين الاستخدام التعليمي لوسائل الاتصال، مثل: التلفاز، والتعليم بالمراسلة، والمدارس الصيفية التي تقدم المشورة للدراسين.

المعنى الثالث : ويتضمن التدريب السياسي، وذلك كما يحدث في الدول الشيوعية، وبخاصة كما يحدث في الصين، حيث يتعلم الناس هناك المبادئ الماركسية، واللينينية، ومبادئ الفكري المادي، خلال دورتين تعقدان لهذا الغرض.

وعلى الرغم من فوائد المعاني الثلاثة السابقة، فإنها لا ترسم لنا الصورة الكاملة للتربية مدى الحياة. **إذًا، ما البديل؟.**

يكون من الأفضل استعمال عبارة «مواصلة التعليم» أو امتداد التعليم في معظم البلاد النامية، التي يفتقر المعلمون فيها إلى المعلومات والمهارات، التي تجعلهم أهلا لإحداث ثورة في التعليم. أيضًا، إذا أضفنا على عبارة «مواصلة التعليم» المفهوم التقليدي للتربية –لا المفهوم المدرسي– الذي لا يزال موجودا في كثير من البلاد النامية، أمكن لنا أن ندرك أن استعمال هذه العبارة خير من استعمال عبارة «التربية مدى الحياة». أما بالنسبة للدول الغنية المتقدمة، حيث يعاود الطلاب الدراسة بعد انقطاعهم عنها، كي يمارسوا العمل في ميدان الحياة فترة من الزمن، يكون من الأفضل استعمال عبارة «معاودة التعليم» بدلا من عبارة «التربية مدى الحياة».

وبعامة، يجدر بالمربين في مختلف بلاد العالم تدبير أي المصطلحات التي تناسب الأوضاع الثقافية السائدة في بلادهم، مع الاحتفاظ بعبارة «التربية مدى الحياة» في قاموس التعليم الدولي لتكون بمثابة مصطلح شامل تندرج تحته كافة المصطلحات الجزئية المناسبة للأوضاع الثقافية في شتى بلدان العالم.

ثانيًا :

يجدر بنا عدم الأخذ بالطريقة القياسية فى التربية مدى الحياة، والتى تقوم على وضع إحدى النظريات العامة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى إخراج هذه النظرية من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ، والأخذ بالطريقة الاستقرائية والتى تقضى باستقراء إمكانات التعليم فى البلاد المختلفة، والإفادة منها فى وضع نظام معين من التربية مدى الحياة يكون مناسبا لاحتياجات البلاد، وبذا تكون عبارة « التربية مدى الحياة » اصطلاحًا دوليًا عامًا يطلق على المشروعات الخاصة التى تستخدم الإمكانات الموجودة تحت تصرف المجتمع، ويستخدم فى جميع أنحاء العالم.

ثالثًا :

حيث أن أهم إمكانات التعليم هى الناس أنفسهم، لذا يجب استغلال هذه الإمكانات بأقصى قدر ممكن طوال الحياة، مع مراعاة أن كل تفاعل يتم بين الأفراد هو فى حقيقته عملية من عمليات التعلم والتعليم، سواء أكان هذا التفاعل والتبادل مجرد مجاذبة أطراف الحديث بين الناس، أم كان إرسالاً تلفازيًا عن طريق القمر الصناعى. وتتوقف طريقة استغلال الإمكانية السابقة على الأسلوب السياسى الذى تتحكم به الدولة.

رابعًا :

إذا أخذنا فى الاعتبار أن بعض أوجه القصور التى يعزوها النقاد إلى التعليم اليوم، ترجع إلي فشل هذا التعليم فى الوفاء باحتياجات المجتمع، فإن دلك يدعو -بإلحاح- إلى إيجاد إجابة عن السؤال التالى :

ما البرنامج الذى يمكن للعالم الأنثروبولوجى الاجتماعى أن يضعه للتربية مدى الحياة على أساس تبادل التعلم والتعليم بين أفراد المجتمع؟

لا يمكن وضع إجابة محددة عن السؤال السابق كنمط يحتذى به ويطبق فى شتى بلدان العالم. وعليه، فإن إجابة السؤال السابق تختلف باختلاف البلاد والثقافات. ولكن، رغم ذلك، يكون من المناسب إبداء بعض الملاحظات التى تتمثل فى الآتى[٢] :

* الدور الذى تقوم به الأسرة فى تربية الأطفال. ويبرز -فى هذا الصدد- التأثيرات عظيمة الشأن للمعتقدات الدينية التى يكتسبها الأطفال خلال سنوات عمرهم الأولى.

* مشكلة الانفصال بين الريف والمدن، التى تتجلى فى كثير من البلدان، وبخاصة البلدان النامية، حيث يقوم سكان الريف بدور ثانوى فى العملية التعليمية. وبعامة، يمكن تغيير هذا الوضع إذا عنى القائمون على تخطيط التعليم بإيجاد تفاعل بين الريف

والمدن، وعقد صلة بين التعليم والعمالة، أى بين المعلمين والعمال، كوسيلة من وسائل التنمية التربوية.

* دور المعلم بالنسبة لاقتباس بعض عناصر الاستراتيجيات التعليمية التى تساعده على أداء عمله على الوجه الأكمل، مع مراعاة المشاركة المتبادلة لكل من المربين والعمال المنتجين بإدخال عنصر التعليم فى العمل، وبإدخال عنصر العمل فى التعليم، بحيث ننظر إلى دور المربين والعمال المنتجين بعضهم مع بعض، لا على أنه دور «المستشار» أو «الخبير الزائر»، بل على أنه دور الشريك والعامل المساعد.

* ضرورة التعاون بين الفئات المتناظرة فى العمل. فمثلا، لا يجب أن تتولى إحدى الوزارات مسئولية «تنمية المجتمع» بمعزل عن وزارات التعليم والزراعة والصحة. إن تعاون الموظفين الميدانيين فى هذه الوزارات يجعلهم يدربون بعضهم بعضاً فى أثناء مدة الخدمة، فيكون لذلك مردودات إيجابية على العمل الذى يقومون به.

* يجب -على المستوى الدولى- استغلال كافة الإمكانات التعليمية الضخمة المتاحة للمجتمع الدولى، والتى لم تستغل غالبيتها بعد، بحيث تتسلم الدول، سواء أكانت غنية أم فقيرة، شيوعية أم رأسمالية، دينية أم علمانية، هذه الإمكانات من بعضها البعض.